

الزرادشتية بين الحكمة النورانية وظلال العيش

كلمة أ. يوحنا عقيقي

أيها الحضور الكريم،

"فكرٌ صالحٌ، كلامٌ صالحٌ وعملٌ صالحٌ"¹، ثلاثٌ تلخص عقيدة زاردشت الخلاصية في عملية تناغم تام بين الفكر والكلمة والعمل. تناغم في الصلاح وفي عمل الخير، والهدف تمهيد الطريق واسعاً أمام أخلاقية روحية سوف تفرض ذاتها على كل ممارسة دنيوية لاحقة. الفكرُ خلاقٌ مبدعٌ، الوسيلةُ كلمةٌ أزليةٌ فاعلةٌ ليس عملها سوى امتداداً عكسياً لتصرف عقلائي مُستنير بغيثه الخير فيما يعمل لأنه روعي وعقلاني.

يبقى الفكرُ فكرًا صوريًا بعيد المنال والادراك إن لم يتجسد في كلمة ومنها في فعل، أي على يد عاقل آمن بثالوثية الحركة فتموضع كلاميًا وفكريًا ليكون ابن النور الأزلي، ميثرائيًا² يُشهد له بالقول والفعل. لذا يعمل الحكيم على طي صفحة تآزج القرار أمام ثنائية القوى والخيارات العليا (سبانتا منيو - أنغرا منيو) فيحزم أمره منحاذاً للحكمة المخلصة التي تعبر به أخيراً جسر الحسم النهائي، شينقات، نحو "بيت الأغاني" حيث سوف يلتقيه رب الأنوار أهورا مزدا بعينه، متخطياً خطر الوقوع في

¹ HUMATA HŪXTA HUVARŠTA ، Yasna Haptanhāiti (Y. 35.2, II,4) ، يازنا 19؛ ونجدها في

النص الفهلوي (11-14) Aiyadgare Vazurg Meher

² نسبة للإله ميثرا الشمس، النور الأزلي

شَبَاكِ سَيِّدِ الشَّرورِ وَعَمَلِ السَّيِّئَاتِ الَّتِي تَقُوذُهُ
حَتْمًا نَحْوَ "بَيْتِ الدَّرُوجِ" أَوْ الْجَحِيمِ
الْقَاتِمَةِ.

أَمَامَ هَذِهِ الْمَشْهَدِيَّةِ الْمَصِيرِيَّةِ ذَاتِ الصَّبْغَةِ
الِدِينِيَّةِ الْأَخْلَاقِيَّةِ الَّتِي تُحْجَمُ الْإِنْسَانُ،
وَالَّتِي وَجَدَتْ صَدَاهَا فِي فِلْسَفَةِ السَّقْرَاطِيِّينَ
لِتَبْقَى وَتَسْتَمِرَّ، انْتَفَضَ نَيْتَشْهَ وَوَاجَهَ نَبِيَّ
الْأَخْلَاقِ فِي كُلِّ مَا بَنَاهُ مِنْ صُرُوحِ أَخْلَاقِيَّةٍ مَعَ
هَرْمِيَّاتِهَا الْقِيَمِيَّةِ وَالْفَضَائِلِيَّةِ الْخَاصَّةِ
بِهَا، وَقَصَّدَ عَرِيْنَ وَحَدَثَهُ حَيْثُ أَمْضَى 10 سَنَوَاتٍ
فِي الْعِزْلَةِ التَّامَّةِ هُوَ وَالشَّمْسُ الَّتِي كَانَتْ
تَزُورُهُ كُلَّ يَوْمٍ بِرُفْقَةٍ نَسَرَهُ سَيِّدُ السَّمَاءِ
وَالْحَيَّةِ سَيِّدَةُ الْأَعْمَاقِ.

أَمَّا وَإِذَا كَانَ الْجَدْلُ مَعَ الْفِلَاسَفَةِ مُمْكِنًا حَتَّى
الْإِقْنَاعِ بِالتَّغْيِيرِ فَالْإِنْقِلَابِ عَلَى سَيْطَرَةِ
الدَّخِيلِ عَلَيْهَا، وَالنَّهْوِضِ بِهَا مِنْ كِبْوَةِ
انْحِطَاطِ، فَهُوَ غَيْرُ سَهْلٍ مَعَ رِجَالِ الدِّينِ حَيْثُ
الْجَدْلُ وَشَوْشَاتُ أَهْرِيْمَانِيَّةِ (شَرِيْرَةِ هَدَامَةِ)
بَيْنَمَا الطَّاعَةُ وَالْخُضُوعُ فَكِيْمٌ حَكْمِيَّةٌ
نُورَانِيَّةٌ بِنَاءً. لَذَا عَادَ نَيْتَشْهَ بِالنَّبِيِّ إِلَى
بِدَايَاتِ تَنْوَرِهِ وَوَعِيهِ لِمَكْنُونَاتِ قَلْبِهِ
وَالْوُجُودِ وَجَعَلَهُ يَعْتَرِفُ بِمُصَالِحَةِ الْحَكْمَتَيْنِ
النُّورَانِيَّةِ وَالتَّرَابِيَّةِ وَتَرَكَهَ يَهْنَأُ بِرَهَةِ
لِمَشَاهِدَتِهِ الْحَيَّةِ تَعَانِقُ النَّسْرِ كَصَدِيقَيْنِ
وَرَفِيْقَيْنِ طَرِيْقٍ وَاحِدٍ، يَعْبُرُ جَسْرًا وَاحِدًا إِلَى
الْمَعْرِفَةِ الْخَلَاصِيَّةِ، إِنَّهُ قَلْبُ الْإِنْسَانِ حَيْثُ
مُلْتَقَى الْجَسَدِ وَالرُّوحِ، خَفِقَ إِرَادِيَّ حَيَاتِيَّ
وَتَحَرَّرِيَّ بِأَمْتِيَّازٍ.

هَنَا وَعَلَى هَذِهِ الصَّفْحَاتِ مِنْ "هَكَذَا تَكَلَّمَ
زَارْدَشْت" كَانَتْ لِي الْفُرْصَةُ الْأُولَى لِمَلَاقَاةِ

النبيّ والتعرّف عليه حتى الاعجاب
والتقدير. فنيتشه، وإن أجبر النبيّ على
دحض ما علّمه ليهدّم هياكل قيم قديمة ويبني
أخرى جديدة، فهو لم يقلل من أهميّة ما
فعله زاردشت منذ آلاف السنين. وقد كان
بحاجة إليه فكرًا وقولًا وعملاً ليشيد قلاع
فلسفته الجديدة ويمتّن عملية التفوق
الإنسانيّ الذي بشرّ به.

وكجواب على تساؤلاتنا منذ ألفي سنة ونيف
حول شخصيّة المجوس وما هيّهم ولماذا قدّموا
للسجود لطفل بيت لحم، فلم يعد يكفي لنا نجم
يبشر ويدلّ، فزاردشت هو السابق الآخر، الذي
أتى ليبشرّ بمجيئ الساوشيان Saoshyant المخلص،
مولودًا من عذراء، حاملاً لواء الحرب ضدّ
الشرير ومعلنًا التغيير الكبير ونهاية
العالم.

إنّي إذ أرحّب بالأصدقاء والأخوة القادمين
من كردستان العراق، ليقدموا لنا طرحًا
وجيزًا ولكن أصيلاً وأوليًا لهويّتهم الدينيّة
والعريقيّة والعقائديّة والثقافيّة، يسرّني
أن أقول: بعد المسيح يسوع الذي أتى وشعّ
بنوره في المعمورة قاطبة، انطفأت أنوار
النجوم وما عادت تكفي لتدلّنا إلى مخلص
آخر، فشمسه هي التي تقود مسيرتنا الروحيّة
سنة بعد سنة حول شخصه الإلهي. وكلّ الشعوب
التي عرفت بمجيئه وساهمت في التعرّف إليه،
هي أيضًا خاصّته؛ وإرثها الروحيّ والدينيّ
والإنسانيّ يبقى ويستمرّ على ضوء نور جديد
عساه يشعّ في شرقنا ويكشّح ظلمات الشرّ

الهدام ويبني مدائن الخير والسلام
لشعبنا المنكوبة في بعدها عنه.

باسم رئيس جامعة الروح القدس - الكسليك
الأب البروفسور جورج حبيقة وفريق البحّثة
في مركز دراسات الأقليّات في الشرق الأوسط
أشكر مجيئكم وحضوركم بيننا مع الأصدقاء
الأعزّاء والزملاء الجامعيّين، كما أشكر
الذين ساهموا في إنجاح هذا اللقاء (من
حقي الحياة) وكلمة شكر معهودة للذين
شاركوا في التنظيم والتحضير اللوجستي في
مكتبي التواصل والإعلام.

كلّنا سمع وانتباه...